«الفرق» بين السِّيَاسَة والتَّدْبِيرِ أن السِّيَاسَة في التدبير المستمر ولا يقال للتدبير الواحد سياسة فكلُّ سياسة تدبير وليس كل تدبير سياسة، والسياسة أيضًا في الدقيق من أمور المسُوسِ على ما ذكرنا قبل فلا يوصف الله تعالى بها لذلك.

البَابُ الرَّابِع عَشَرَ

في الفَرْق بين الإنْعام والإحْسَان وبين النِّعْمة والرَّحْمَة والرَّأْفة والنَّفْع والْخَيْر وبين الحِلْم والصَّبْر والوَقَار والتُّؤَدة وما بسبيل ذلك

«الفرق» بين الإنْعَام والإحْسَانِ أن الإنعامَ لا يكون إلَّا من المُنْعِم على غيره لأنه متضمنٌ بالشكر الذي يجب وجوب الدين، ويجوز إحسان الإنسان إلى نفسه، تقول لمن يتعلَّم العلم: إنه يُحْسِنُ إلى نفسه ولا نفسه ولا تقول مُنْعِمٌ على نفسه، والإحْسَانُ متضمنٌ بالحَمْدِ، ويجوز حمد الحامد لنفسه، والنعمة متضمنةٌ بالشكر، ولا يجوز شُكْر الشَّاكِرِ لنفسه، لأنَّهُ يجري مجرى الدَّيْنِ، ولا يجوز أن يؤدي الإنسانُ الدَّيْنَ إلى نفسه، والحمدُ يقتضي تبقية الإحسان إذا كان للغير، والشكْرُ يقتضي تبقية النعمة، ويكون من الإحسان ما هو ضررٌ مثل تعذيب الله تعالى أهلَ النارِ، وكلُّ من جاء بفعلٍ حسنٍ، فقد أحْسَن، ألَا تَرى أن من أقام حدًّا، فقد أحسن وإنْ أنزلَ بالمحدُودِ ضررًا ؟ ثم اسْتُعْمِل في النفع والخير خاصة فيقال: أحسن إلى فلانٍ إذا نفعه ولا يقال أحسن إليه إذا حده ويقولون للنفع كله إحْسانًا ولا يقولون للضرر كله إساءة، فلو كان معنى الإحْسَان هو النفع على الحقيقة لكان معنى الإساءة الضرر على الحقيقة لأنه ضدهن والأب يحسن إلى ولَدِه بسقيه الدواء المُرّ وبالفَصْدِ[1] والحِجَامة، ولا يقال ينعم عليه بذلك ويقال أحسن إذا أتى بفعل حسن ولا يقال أقبح إذا أتى بفعل قبيح، اكْتَفُوا بقولهم أساء، وقد يكون أيضًا من النعمة ما هو ضرر مثل التكليف نسميه نعمة لما يؤدي إليه من اللَّذَّةِ والسرور.

«الفرق» بين الإحْسَان والنفع أنَّ النفعَ قد يكون من غير قَصْدٍ، والإحْسَانُ لا يكون إلا مع القصد، تقول: يَنْفَعُني العدوَّ بما فعله بي إذا أراد بك ضَرًّا فوقع نَفْعًا ولا يقال أحسن إليَّ في ذلك.

«الفرق» بين الإحْسَان والإجْمَالِ أن الإجْمَال هو الإحْسَانُ الظاهر من قولك رجل جميل

(١) الفَصْد: يقال فَصَد المريضَ، أي أخرج مقدارًا من دم وريده بقصد العلاج.

كأنما يجري فيه السمن وأصل الجميل الوَدَك[1] واجتمل الرجل إذا طبخ العظام ليخرج وَدكها، ويقال: أحْسَن إليه فيعدي بإلى وأَجْمَل في أمره لأنه فعل الجميل في أمره، ويقال أَنْعَمَ عليه، لأنه دخله معنى علو نعمة عليه فهي غامرة له، ولذلك يقال هو غَرِيقٌ في النعمة ولا يقال غَرِيقٌ في الإِحْسَانِ والإِجْمالِ، ويقال: أَجْمَل الحسَابَ فيعدي ذلك بنفسه لأنه مَضمَنٌ بمفعول ينبيء عنه من غير وسيلة، وقد يكون الإحسان مِثْلَ الإِجْمَالِ في استحقاق الحمدِ به وكما يجوز أن يحسن الإنسان إلى نفسه يجوز أن يجمل في فعله لنفسه.

«الفرق» بين الفَضْلِ والإِحْسَانِ أن الإحْسانَ قد يكون واجبًا وغير واجب، والفَضْلُ لا يكون واجبًا على أحد، وإنما هو ما يتفضل به من غير سبب يوجبه.

«الفرق» بين الطُّول والفَل أن الطُّول هو ما يستطيل به الإنسان على مَنْ يقصدُه به ولا يكون إلَّا من المَتْبُوع إلى التَّابع ولا يقال لفضل التابع على المتبوع طول، ويقال: طَالَ عليه وتطوَّل وطَلَّ عليه إذا سأله ذلك، قالَ الشَّاعرُ:

* أَقْرِ لِكَيْ يَزْدَادَ طُولكَ طُولَا *

وقال الله تعالى: ﴿أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة:٨٦] أي من معه فضل يستطل به على عشيرته.

«الفرق» بين الآلَاءِ والنِّعم أن الألَى واحدُ الآلاء، وهي النِّعمة التي تتلو غيرها من قولك وَلِيَهُ يَلِيه إذا قَرُبَ منه وأصله وَلِي، وقِيل واحدُ الآلَاءِ إلَى، وقال بعضهم: الألى مقلوب من ألى الشيء إذا عَظُمَ على قال فهو اسم للنعمة العظيمة.

«الفرق» بين الإِفْضَال والتَّفضُّلِ أنَّ الإِفْضَالَ من الله تعالى نَفْعٌ تدعو إليه الحكمة وهو تعالى يفضل لا محالة؛ لأن الحكيم لا يخالف ما تدعو إليه الحكمة وهو كالإنْعَام في وجُوب الشكر عليه، وأصْلُه الزيادة في الإحْسَان، والتَّفضُّل التخصص بالنفع الذي يوليه القادرُ عليْه، وله أن لا يوليه، والله تعالى مُتَفَضِّلٌ بكل نفع يعطيه إياه من ثوابٍ وغيره، فإنْ قُلْتَ: الثوابُ واجبٌ من جهة أنه جزاء على الطاعة فكيف يجوز أن لا يفعله؟ قلنا: لا يفعله بأن لا يفعل سببه المؤدِّي إليه.

«الفرق» بين المُتَفَضِّلِ والفَاضِلِ أن الفَاضِلَ هو الزائدُ على غيره في خصْلَةٍ من خِصَال الخير والفضل الزيادة، يقال: فَضلَ الشيءُ في نفسه إذا زَادَ وفَضَلَهُ غيره إذا زاد عليه وفضَّله بالتشديد إذا أخبر بزيادته على غيره ولا يوصف الله تعالى بأنه فَاضِلٌ لأنه لا يوصف بالزيادة والنُّقْصَانِ.

(١) الوَدَك: الدَّسم، أو دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه

«الفرق» بين النِّعْمَةِ والرَّحْمَةِ أن الرحمةَ: الإنْعامُ على المحتاج إليه، وليس كذلك النعمة لأنك إذا أنْعَمْتَ بمالٍ تعطيه إياه فقد أنعمت عليه ولا تقول إنك رحمته.

«الفرق» بين الرَّحْمنِ، والرَّحِيم أن الرحْمنَ على ما قال ابن عباس أرقُّ من الرحيم يريد أنه أبلغَ في المعنى لأن الرقة والغلظةَ لا يوصف الله تعالى بهما، والرحمةُ من الله تعالى على عباده ونعمته عليهم في باب الدِّين والدُّنيا، وأجْمَعَ المسلمُونَ أن الغَيْثَ رحمةٌ من الله تعالى، وقيل معنى قوله رحيم أنَّ من شَأنِهِ الرحمة وهو على تقدير يديم، والرحمن في تقدير بزمان وهو اسم خصَّ به الباري جَلَّ وعَزَّ، ومثله في التخصيص قولنا لهذا النَّجْم سِمَاك[1] وهو مأخوذ من السَّمْكِ الذي هو الارتفاع وليس كلُّ مرتفعٍ سِمَاكًا، وقولنا للنَّجْمِ الآخر دَبَرَان[2] لأنه يُدبر الثُّرَيَّا، وليس كل ما دبر شيئًا يسمى دَبَرانًا، فأما قولُهم لمُسَيْلمة رَحْمَان اليمامةَ فشيء وضعه له أصحابُهُ على وجْهِ الخطأ كما وضع غيرهم اسْمَ الآلهة لغير الله، وعندنا أن الرحيمَ مبالغةٌ لعدوله وأنَّ الرحمنَ أشدُّ مبالغةً لأنه أشدُّ عدولًا، وإذا كان العدول على المبالغة كُلَّمَا كان أشدَّ عُدولًا كان أشدَّ مُبالغةً.

«الفرق» بين الرَّحْمةِ والرِّقَةِ أن الرقَّةَ والغِلْظَةَ يكونان في القلب وغيره خِلْقَةً[3] والرحمةُ فعل الراحم، والناس يقولون رَقَّ عليه فرحمه يجعلون الرقَّة سببُ الرحْمةِ.

«الفرق» بين الشفيق والرَّقيق أنه قد يرقّ الإنسانُ لمن لا يشفق عليه كالذي يَبْدُ الموءُودَةِ فيرقّ لها لا محالة، لأن طبع الإنسانيةِ يوجب ذلك ولا يَشْفِقُ عليها لأنه لو أشْفَقَ عليها ما وأدَهَا.

«الفرق» بين الرَّأفة والرَّحمة أن الرأفَة أبْلَغُ من الرحمة، ولهذا قال أبو عُبَيْدَةَ إن في قوله تعالى: ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣] تقديمًا وتأخيرًا أراد أن التوكيد يكون في الأبْلَغِ في المعنى فإذا تقدّم الأبلغُ في اللفظ كان المعنى مؤخَّرًا.

«الفرق» بين المَنْفَعَة والخَيْرِ أن من المعصية ما يكونُ منفعةً، وقد شهد الله تعالى بذلك في قوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢١٩] وما كانت فيه منفعة فهو منفعة ولا تكون المعصية خيرًا، وقد أجريت الصفة بنافع على الموجب للنفع فقيل: طعامٌ نافعٌ ودواءٌ نافعٌ.

«الفرق» بين المنفعةِ والنعمةِ أن المنفعةَ تكونُ حسنةً وقبيحةً، كما أنَّ المضرَّة تكون حسنةً

(١) السِّماك: سمكَ سُمُوكًا، أي علا وارْتفع، والسِّماك، كل ما سَمك، حائطًا كان أو سقفًا.

(٢) الدَّبَرانُ: يُقصد به في علم الفلك خمسة كواكب من الثور، يقال إنها سنامه، وقيل نجم بين الثُّريَّا والجوزاء.

(٣) أي طبيعةً وسَجيَّةً.

وقبيحةً، والمنفعةُ القبيحةُ منفعتُكَ الرجُلَ تنفعه ليسكن إليك فَتغْتالهُ، والنعمة لا تكون إلا حسنةً، ويُفَرَّقُ بينهما أيضًا، فتقول: الإنسانُ يجوز أن يَنْفَعَ نفسَهُ ولا يجوز أن يُنْعِمَ عَلَيْهَا.

«الفرق» بين المَتَاعِ والمَنْفَعَةِ أن المتاعَ النفعُ الذي تتعجَّل به اللذة، وذلك إمَّا لوجود اللذة وإما بما يكون معه اللذة نحو المالُ الجليلُ والملكُ النفيسُ وقد يكون النفع بما تتأجَّل به اللذة نحو إصلاح الطعام وتبريد الماء لوقت الحاجة إلى ذلك.

«الفرق» بين الإنْعَام والتمتُّع أن الإنْعَام يوجبُ الشكْرَ، والتمتع كالذي يمتع الإنسان بالطعام والشراب ليستنيمَ إليه فيتمكن من اغتصاب ماله والإتيان على نفسه.

«الفرق» بين الخير والنعمة أن الإنسان يجوزُ أن يفعل بنفسه الخير كما يجوز أن يُنْعِمَ عليها، فالخيرُ والنفعُ من هذا الوجه متساويان، والنفع هو إيجابُ اللَّذَّة بفعلها أو السبب إليها، ونقيضهُ الضر وهو إيجاب الألم بفعله أو التسبُّب إليه.

«الفرق» بين النِّعْمَةِ والنَّعْمَاءِ أنَّ النَّعْمَاءَ هي النعمةُ الظاهرةُ وذلك أنها أخرجتْ مخرجَ الأحْوالِ الظاهرة، مثل الحمرَاءِ والبيضَاءِ، والنعمة قد تكون خافيةً فلا تسمَّى نَعْمَاءَ.

«الفرق» بين اللذَّةِ والنِّعْمةِ أن اللذَّة لا تكون إلا مُشْتهاةً ويجوز أن تكون نعمة لا تُشْتَهى كالتكليف، وإنَّما صار التكليفُ نعمةً لأنه يعودُ عليها بمنافعَ وملاذ وإنما سُمِّي ذلك نعمةً لأنه سبب للنعمة كما يسمَّى الشيءُ باسم سَببِه.

«الفرق» بين النِّعْمَةِ والمنَّةِ أن المنةَ هي النعمةُ المقْطُوعةُ من جَوانبها كأنَّها قطعةٌ منها، ولهذا جاءتْ على مثال قِطْعَةٍ، وأصل الكلمة: القطع، ومنه قولُه تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت:٨] أي غيرُ مقْطُوعٍ وسُمِّي الدهرُ مَنُونًا لأنه يقْطَع بين الإلف وسُمِّي الاعتداد بالنعمة مَنًّا لأنه يقطع الشكْرَ عليها.

«الفرق» بين الإحْسَان والإفْضَال أنَّ الإحْسَان النفعُ الحسن، والإفْضَالُ النفع الزائد على أقل المقدار وقد خُصَّ الإحسان بالفَضْل ولم يجب مثل ذلك في الزيادة لأنه جرى مجرى الصفة الغالبة كما اختص النجم بالسَّمَاكِ ولا يجب مثل ذلك في كل مُرْتفع.

«الفرق» بين البرِّ والقُرْبَانِ أن القُرْبَانَ البرُّ الذي يتقرَّبُ به إلى الله وأصله المصْدَرُ مثل الكُفْرَانِ والشُّكْرَانِ.

الفَرْقُ بين ما يُخالفُ النَّفْعَ والإحْسَانَ مِنَ الضُّرِّ والسُّوءِ وغير ذلك مما يَجْرِي مَعَهُ

«الفرق» بين الضَّر والضُّرِّ أن الضَّرّ خلاف النَّفْع ويكون حَسنًا وقبيحًا فالقبيحُ الظلم وما بسبيله والحسنُ شربُ الدَّواء المُرّ رجاء العافية، والضر[1] بالضم الهزال وسوء الحال ورجل مَضْرورٌ سيئ الحال، ومن وجه آخر أن الضُّر أبلغ من الضَّرر لأن الضَّرر يجري على ضَرَّهُ يَضُرُّهُ ضَرًّا فيقع على أقل قليل الفعل لأنه مصدر جارٍ على فعله كالصفة الجارية على الفعل، والضُّرُّ بالضم كالصفة المعدولة للمبالغة.

«الفرق» بين الضُّرِّ والضَّرَّاء أن الضَّرَّاء هي المَضَرَّةُ الظاهرة وذلك أنها أخرجت مخرج الأحوال الظاهرة مثل الحمراء والبيضاء على ما ذكرنا.

«الفرق» بين الضَّرَّاء والبَأْسَاءِ أن البَأْسَاءَ ضَرَّاءُ معها خوفٌ، وأصلها البأس وهو الخوف، يقال: لا بأسَ عليك أي لا خوفَ عليكَ، وسُمِّيتْ الحربُ بأْسًا لما فيها من الخوف، والبائس: الرجل إذا لحقه بأس، وإذا لحقه بؤسٌ أيضًا، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود:٣٦] أي لا يلحقك بؤس ويجوز أن يكون من البأس أي لا يلحقك خوف بما فعلوا وجاء البأس بمعنى الإثم في قولهم: لا بأس بكذا أي لا إثْم فيه ويقال أيضًا: لَا بأْسَ فيه أي هو جَائزٌ شائعٌ.

«الفرق» بين الضُّرِّ والسُّوءِ أن الضرَّ يكون من حيث لا يعلم المقصود به والسُّوءُ لا يكون إلا من حيث يعلم، ومعلوم أنه يقال: ضررت فلانًا من حيث لا يعلم ولا يقال سُؤْتُهُ إلا إذا جاهرته بالمكروه.

«الفرق» بين المضرَّة والإِسَاءَةِ أن الإِسَاءةَ قبيحةٌ، وقد تكون مضرة حسنة إذا قصد بها وجه يحسن نحو المضرة بالضرب للتأديب وبالكَدِّ للتعلُّم والتعليم.

«الفرق» بين السَّوءِ والسُّوْءِ أن السَّوءَ مصدر أُضيف المنعوتُ إليه، تقول: هو رَجُلُ سَوْءٍ، ورجلُ السَّوْءِ بالفتح وليس هو من قولك سُؤْتُه، وفي المثل لا يعجز مسك السوء عن عرق

(١) الضُّرّ: ما كان من سوء حال أو فقر أو شدة في بدن، وفي كتابه الكريم. ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ [يوسف:٨٨]، ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]. والضَّرر: أي الضيق، والعِلَّة تُقعد عن جهاد ونحوه، قال تعالى: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥].

السوء أي لا يعجز الجلد الرديء عن الريح الرديئة، والسُّوء بالضم المكروه يقال ساءه يسوؤه سُوءًا إذا لقى منه مكروهًا، وأصل الكلمتين الكراهة إلا أن استعمالهما يكون على ما وصفنا.

«الفرق» بين الإساءة والسوء أنَّ الإِسَاءةَ اسمٌ للظلم، يقال: أساء إليه إذا ظلمه والسُّوء اسم الضَّرَر والغم، يقال ساءه يسوؤه إذا ضَرَّه وغَمَّه وإن لم يكن ذلك ظلمًا.

«الفرق» بين الضر والشر أن السقم وعذاب جهنم ضر في الحقيقة وشر مجازًا، وشُربُ الدواء المُرِّ رجاءَ العافية ضَررٌ يدخله الإنسانُ على نفسه وليس بشرٍّ، والشاهد على أن السَّقْم وعَذَابَ جهنم لا يسمَّى شرًّا على الحقيقة أن فاعله لا يسمى شريرًا كما يسمى فاعل الضر ضارًّا، وقال أبو بكر بن الإخشاد رحمه الله تعالى: السَّقْمُ وعذابُ جهنم شرٌّ على الحقيقة، وإن لم يسم فاعلهما شريرًا لأنَّ الشريرَ هو المنهمك في الشرِّ القبيح وليس كلُّ شرٍّ قبيحًا ولا كلُّ من فعل الشرَّ شريرًا كما أنه ليس كل من شرب الشراب شِرِّيبًا[1] وإنما الشِّرِّيب المنهمك في الشرب المحظور، والشر عنده ضربان حسن وقبيح فالحسن السقم وعذاب جهنم والقبيح: الظلم وما يجري مجراه قال: ويجوز أن يقال للشيء الواحد إنه خَيْرٌ وشرٌّ إذا أردت بأحد القولين إخبارًا عن عاقبته وإنما يكونان نقيضين إذا كانا من وجه واحد.

«الفرق» بين الصَّبْر والحِلْم أن الحلمَ هو الإمهال بتأخير العقاب المستحق، والحلم من الله تعالى عن العصاة في الدنيا فعل ينافي تعجيل العقوبة من النعمة والعافية، ولا يجوز الحلم إذا كان فيه فساد على أحد من المكلفين وليس هو التَّرْك لتعجيب العقاب لأن التَّرْكَ لا يجوز على الله تعالى لأنه فعل يقع في محل القدرة يضاد المتروك ولا يصح الحلم إلا ممَّنْ يقدر على العقوبة وما يجري مجراها من التأديب بالضَّرْب وهو ممن لا يقدر على ذلك، ولهذا قال الشاعر:

* لَا صَفْحَ ذُلٍّ ولكِنْ صَفْحُ أَحْلَامِ *

ولا يقال لتارك الظلم حليم إنما يقال: حَلِمَ عنه إذا أخر عقابه أو عفا عنه ولو عاقبه كان عادلًا، وقال بعضهم: ضد الحِلْم السَّفَه، وهو جيد لأن السَّفَه خِفَّةٌ وعجلة وفي الحلم أَناةٌ وإمهال، وقال المفَضَّلُ: السفه في الأصل قِلَّة المعرفة بوضْع الأمور مواضعها وهو ضعف الرأي، قال أبو هلال: وهذا يوجب أنه ضد الحلم؛ لأن الحلم من الحكمة، والحكمة وجود الفعل على جهة الصواب، قال المُفَضَّلُ: ثم أجرى السَّفَه على كل جهل وخفة يقال: سفه رأيه سفها، وقال الفراء: سفه غير متعدٍّ وإنما ينصب رأيه على التفسير، وفيه لغة أخرى سفه يسفه

(١) الشريب: بكسر الشين والراء المشددتين هو المولع بالشرب

سفاهة، وقيل: السفيه في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ [البقرة:٢٨٢] هو الصغير وهذا يرجع إلى أنه القليل المعرفة، والدليل على أن الحلم أجرى مجرى الحكمة نقيضًا للسفه قول المتلمس:

لِذِي الحِلْمِ قَبْلَ اليَوْمِ ما تَقْرَعُ العَصَا ... وَمَا عَلِمَ الإِنسَانَ إِلَّا ليعلما

أي لذي المعرفة والتمييز، وأصل السَّفَه: الخفة، ثوبٌ سفيهٌ: أي خفيفٌ، وأصل الحلم في العربية اللِّينَ ورجل حَليمٌ أي لَيِّنٌ في معاملته في الجزاء على السيئة بالأناة، وحلم في النوم لأن حال النوم حال سكون وهدوء، واحتلم الغلامُ، وهو مُحْتلمٌ وحَالِمٌ يرجع إلى قولهم حلم في النوم، وحَلَمةُ الثدي الناتئ في طرفه لما يخرج منها من اللبن الذي يحلم الصبي، وحلمَ الأديم ثقل بالحلم وهو قِرْدَانٌ عظيمةٌ لينةُ الملمَسِ وتحلَّمَ الرجلُ تكلَّفَ الحلمَ. والصبر: حبس النفس لمصادفة المكروه، وصَبرَ الرجلُ: حَبَسَ نَفْسَهُ عن إظهار الجَزَعِ، والجَزَعُ إظهار ما يلحق المصاب من المضضِ[1] والغَمِّ، وفي الحديث: «يَصْبِرُ الصَّابِرُ وَيَقْتُلُ الْقَاتِلُ»[2] والصابر ههنا هو الذي يَصْبِرُ النَّفْسَ عن القتل، ولا تجوز الصفة على الله تعالى بالصَّبْرِ لأن المَضَارَّ لا تلحقه، وتجوز الصفة عليه بالحِلْمِ لأنه صفةُ مَدْحٍ وتَعْظِيم، وإذا قال قائلٌ: اللَّهُمَّ حِلْمَكَ عن العُصَاةِ، أي إمْهَالَكَ فذلك جائزٌ على شرائط الحكمة من غير أن يكون فيه مَفْسَدَةٌ وإمْهَالُ الله تعالى إيَّاهُمْ مظاهرة عليهم.

«الفرق» بين الصَّبْرِ والاحْتِمَالِ، أنَّ الاحتمالَ للشيء يفيدُ كَظْمَ الغَيْظِ فيه، والصَّبْرُ على الشِّدَّةِ يفيد حَبْسَ النفس عن المقَابلةِ عليه بالقَوْل والفِعْل، والصَّبْرُ عن الشيء يفيد حَبْسَ النفس عن فعله وصَبرتُ على خُطُوبِ الدَّهْرِ أي حبستُ النَّفْسَ عن الجَزَعِ عندها ولا يستعمل الاحتمال في ذلك لأنك لا تغتاظُ منه.

«الفرق» بينَ الحِلْمِ والإمْهَال أن كلَّ حِلْمٍ إمْهَالٌ وليس كُلُّ إمْهَالٍ حِلْمًا[3] لأن الله تعالى لو أمهل من أخذه لم يكن هذا الإمهال حلمًا لأن الحلمَ صفةُ مَدْحٍ والإمْهَالُ على هذا الوجه مذموم، وإذا كان الأخذ والإمْهَال سواءً في الاستصلاح فالإمْهَال تَفَضُّلٌ والانْتِقَامُ عَدْلٌ، وعلى هذا يجب أن يكون ضد الحلم السَّفَه إذا كان الحلم واجبًا، لأن ضده استفساد، فلو فعله لم يكن ظلمًا إلا أنه لم يكن حكمة، ألا ترى أنه قد يكونُ الشيءُ سَفهًا وإن لم يكن ضده حلمًا؟ وهذا نحو صرف الثواب عن المستحق إلى غيره، لأن ذلك يكون ظلمًا من حيث حُرْمَة مَنِ

(١) المضض. بفتح الميم والضاد الأولى: التألم. يقال فعلتُ هذا على مَضَضٍ، أي كارهًا متألمًا.
(٢) سنن الدارقطني برقم ٢٨٧٣.
(٣) أي أن الحِلْمَ أعم وأشمل من الإمهال، والإمهال أخص

اسْتَحقَّهُ ويكون سَفَهًا من حيث وُضِعَ في غير مَوْضِعه، ولو أعطى مثل ثواب المطيعين من لم يطع لم يكن ذلك ظلمًا لأحد، ولكن كان سفهًا لأنه وَضْعُ الشيء في غير موضعه، وليس يجب أن تكون إثابة المستحقين حلمًا وإن كان خلاف ذلك سفهًا فثبت بذلك أن الحلم يقتضي بعض الحكمة وأن السَّفَهَ يضاد ما كان من الحلم واجبًا لا ما كان منه تفضُّلًا وأن السفه نقيض الحكمة في كل وجه، وقولنا: الله حليم من صفات الفعل ويكون من صفات الذات بمعنى أهل لأن يحلم إذا عصى، ويفرق بين الحِلْم والإمْهَال من وجه آخر، وهو أن الحلمَ لا يكون إلَّا عن المستحقِّ للانتقام وليس كذلك الإمهال، ألَا ترى أنك تُمْهِل غَرِيمَكَ إلى مُدَّةٍ ولا يكون ذلك منك حِلْمًا؟ وقال بعضهم: لا يجوز أن يمهل أحد غيره في وقت إلَّا ليأخذه في وقت آخر.

«الفرق» بين الإمْهَال والإنْظَار، أنَّ الإنْظَارَ مقرونٌ بمقدار ما يقع فيه النظر، والإمْهَال مُبهمٌ، وقيل الإنظار تأخيرُ العبد لينظر في أمره، والإمْهَالُ تأخيره ليسهل ما يتكلَّفه من عمله.

«الفرق» بين الحِلْم والوَقَار أن الوَقَارَ هو الهدوء وسكون الأطراف وقلة الحركة في المجلس، ويقع أيضًا على مفارقة الطَّيْش[1] عند الغضب، مأخوذ من الوِقْر[2] وهو الحِمْل، ولا تجوز الصفة به على الله سبحانه وتعالى.

«الفرق» بين الوَقَار والسَّكِينة أن السكينةَ مفارقةُ الاضطراب عند الغضب والخوف وأكثر ما جاء في الخوف، ألا ترى قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾[التوبة:٤٠]، وقال ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٢٦] ويضاف إلى القلب كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٤] فيكون هيبة وغير هيبة، والوقار لا يكون إلا هيبة.

«الفرق» بين ذلك وبين الرَّزَانَة أن الرَّزَانَةَ تُسْتَعمَلُ في الإنسان وغيره فهي أعمُّ، يقال رجلٌ رزينٌ أي ثقيلٌ ولا يقال حجرٌ وقورٌ.

«الفرق» بين الرَّجَاح والرَّزَانَة أن الرَّجَاحَ أصله المَيْل ومنه رجَحَتْ كَفَّةُ الميزان إذا مالت لثقل ما فيها، ومنه زِنْ وأَرْجِحْ، بوصفَ الرجلُ بالرَّجَاحِ على وجه التشبيه كأنه وزن مع غيره فصار أَثْقَلَ منه وليس هو صفة تختص الإنسان على الحقيقة، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال للإنسان تَرَجَّحْ أيْ كُنْ رَاجِحًا؟ ولكن يُقال له تَرجَّحْ أي تَمَايَلْ، ويجوز أن يقال له تَرَزَّنْ أي كُنْ رَزِينًا وهي أيضًا تستعمل في التثبيت والسكون، والرَّجَاحُ في زيادة الفضل فالفرق بينهما بَيِّنٌ.

(١) الطَّيْش: طَاشَ يَطِيشُ طَيْشًا، أي اضطرب وانحرف، يقال: طَاشَ فلانٌ أي زَلَّ، وطَاشَ عَقْلُه أي خفَّ وتشتَّت فجهل أو أخطأ.

(٢) الوقر بكسر الواو وسكون القاف هو الحِمْل الثقيل.

«الفرق» بين الوَقَارِ والتَّوْقِير أن التَّوْقِير يستعمل في معنى التعظيم يقال وَقَّرْتُهُ إذا عَظَّمْتُهُ وقد أقيم الوَقَار موضع التوقير في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[نوح:١٣] أي تَعْظيمًا وقال تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[الفتح:٩] وقال أبو أحمد بن أبي سلمة -رحمه الله- الله جل اسمه لا يوصف بالوقار، ويوصف العباد بأنهم يوقِّرُونه أي يُعظِّمُونَه ولا يقال إنه وَقُورٌ بمعنى عظيم كما يقال إنه يوقِّر بمعنى يعظِّم لأنَّ الصفةَ بالوقُورِ ترجعُ إليه إذا وصف بها، قال أبو هلال: وهي غير لائقة به لأن الوقارَ مما تتغير به الهيبة، قال أبو أحمد: والصفة بالتوقير ترجع إلى من توقّره، قال أبو هلال- أيده الله تعالى - عندنا أنه يوصف بالتوقير أن وصف به على معنى التعظيم لا لغير ذلك.

«الفرق» بين الوَقَار والسَّمْتِ أن السَّمْتَ هو حُسنُ السكوت، وقالوا هو كالصَّمْتِ فأبدَلَ الصَّادَ سِينًا كما يقال خطيبٌ مُسْقَعٌ ومُصْقَعٌ، ويجوز أن يكونَ السَّمْتُ حُسنَ الطَّريقةِ واسْتواؤها من قولك هو على سَمْتِ البلد، وليس السَّمْتُ من الوقَار في شيء.

«الفرق» بين الحِلْمِ والأَنَاةِ أن الأَناةَ هي البطءُ في الحركة، وفي مقاربة الخَطْوِ في المشي، ولهذا يقال للمرأة البدينة أناة، قال الشاعر:

رُمْتُـه أَنَـاةً مـن رَبِـيـعـةَ عَـامِـرٍ نُـؤْمُ الـضُّـحَـى في مـأتـم في مَـأْتـم

ويكون المراد بها في صفات الرجال المتهمل في تدبير الأمور ومفارقة التعجل فيها كأنه يقارب بها مقاربة لطيفة من قولك أَنَى الشَّيْءُ إذا قَرُبَ وتَأَنَّى أي تَمَهَّلَ ليأْخذَ الأمر من قرب، وقال بعضهم: الأَنَاةُ السكون عند الحالة المُزْعِجَة.

«الفرق» بينها وبين التُّؤَدَةِ أن التُّؤَدَةَ مفارقة الخِفَّةِ في الأمور، وأصلها من قولك وَأَدَهُ يَئِدهُ إذا أثقله بالتُّرَاب، ومنه الموْءُودَةُ[1] وأصل التاء فيها واو ومثلها التُّخْمَةَ وأصلها من الوَخَامة والتُّهْمَة وأصلها من وَهَمْتُ والترةُ وأصله من تَرت، فالتؤدة تفيد من هذا خلاف ما تفيد الأناة وذلك أن الأناة تفيد مقاربة الأمر والتسبب إليه بسهولة والتُّؤَدَةُ تفيد مفارقة الخفَّة، ولولا أنا رجعنا إلى الاشتقاق لم نجد بينهما فرقًا، ويجوز أن يقال إن الأَنَاةَ هي المبالغة في الرفق بالأمور والتسبب إليها من قولك آنَ الشَّيْءُ إذا انتهى، ومنه ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن:٤٤] وقوله ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾[الأحزاب:٥٣] أي نهايته من النضج.

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير:٨، ٩].

ومِمَّا يُخالِفُ ذَلِكَ

«الفرق» بين الطَّيْشِ والسَّفَه أن السَّفَه نقيضُ الحِكْمَة على ما وصفنا، ويُسْتعارُ في الكلام القبيح فيقال سَفه عليه إذا أسمعه القبيحَ، ويقال للجاهل سَفِيهٌ، والطَّيْشُ خفة معها خطأ في الفعل، وهو من قولك طَاشَ السَّهْمُ إذا خَفَّ فمضى فوق الهَدفِ فشبَّه به الخفيف المفارق لصَوابِ الفِعْلِ.

«الفرق» بين السُّرْعَة والعَجلة أن السُّرْعة التَّقَدُّمُ فيما ينبغي أن يتقدم فيه وهي محمودةٌ ونقيضُهَا مذمومٌ وهو الإبْطَاءُ، والعجلة: التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه وهي مذمومة، ونقيضها محمود وهي الأَنَاةُ، فأما قوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه:٨٤] فإنَّ ذلك بمعنى أَسْرَعْتُ.

البَابُ الخَامِسَ عَشَرَ

في الفرق بَيْنَ الحِفْظ والرِّعَايَة والحِرَاسَة وما يَجْري مَعَ ذَلِكَ وَفي الفَرْقِ بَيْنَ الضَّمَانِ والوَكَالَة والزَّعَامَة وما يَقْرُبُ مِنْ ذَلِكَ

«الفرق» بين الحِفْظِ والرِّعَايَة أن نقيضَ الحفظِ الإضَاعَةُ ونقيض الرِّعايةِ الإهْمَالُ ولهذا يقال للماشية إذا لم يكن لها راعٍ هَمَلٌ والإهْمَال هو ما يؤدي إلى الضَّياع، فعلى هذا يكونُ الحفظ صرف المكاره عن الشيء لئلا يهلك، والرعاية فعل السبب الذي يصرف المكاره عنه، ومن ثَمَّ يقال: فلان يرعى العُهودَ بينه وبين فلان أي يحفظ الأسباب التي تبقى معها تلك العهود، ومنه راعي المواشي لتفقده أمورها ونفي الأسباب التي يخشى عليها الضَّياع منها، فأما قولهم للساهر أنه يرعى النجوم فهو تشبيهٌ براعي المواشي لأنه يراقبها كما يراقب الراعي مواشيه.

«الفرق» بين الحفظ والكَلاءَة أن الكَلاءَةَ هي إمالةُ الشيء إلى جانب يسلم فيه من الآفة، ومن ثَمَّ يقال كَلأْت السَّفِينَة إذا قَرَّبتها إلى الأرض، والكَلاءَ مَرْفَأُ السفينة، فالحفظُ أعَمُّ لأنه جنسُ الفعل، فإن استعملت إحْدَى الكلمتين في مكان الأخرى فلتقارب معنييهما.

«الفرق» بين الحِفْظِ والحِرَاسَة أن الحراسةَ حفظٌ مستمر، ولهذا سُمِّي الحارسُ حارسًا لأنه يحرسُ في الليل كله أو لأن ذلك صناعته فهو يديم فعله، واشتقاقه من الحرس وهو الدهر، والحراسة هو أن يصرف الآفات عن الشيء قبل أن تصيبه صرفًا مستمرًا فإذا أصابته فصرفها